

الشهيد الدكتور شكر الله كرم وماير مسعد وجورج الزوربا ثلاثة شيوعيين من التاريخ القديم

الدكتور شكر الله كرم هو شخصية مرموقة في بلدة الخيام الجنوبية وفي الجنوب اللبناني عامة. وهو طبيب إنساني. والطابع الإنساني في مهنته كطبيب برز على امتداد حياته في المهمات الإنسانية التي تطوع لها، لا سيما في فترات المحن التي مرّ بها الجنوب في الحربين العالميتين الأولى والثانية. والجدير بالذكر في الحديث عن الدكتور شكر الله كرم أن أشير إلى أنه كان قد انتسب إلى الحزب الشيوعي منذ وقت مبكر. لكنه اختلف معه من دون أن يقطع العلاقة ومن دون أن يتخلى عن أفكاره الاشتراكية. غير أنه لم ير من الضروري أن يذكر باشتراكيته. ذلك أن المهم بالنسبة إليه هو الدور الذي أعطاه لنفسه باسم اشتراكيته من دون إعلان ومن دون تذكير بالمهمات العديدة التي أعطاهما لنفسه. وهكذا تميّزت حياته على امتدادها وصولاً إلى استشهاده بالطابع الإنساني الديمقراطي وبالعلاقة الوثيقة مع شعبه بكل فئاته.

لم أشأ أن أدخل في تفاصيل سيرته وهي غنية. لكنني اكتفيت بهذا القدر من الإشارات السريعة إلى صفاته وسماته التي ارتبطت باسمه على امتداد حياته. وكان ربما آخر وأهم إنجازات حياته في مهمته كطبيب وكإنسان وكوطني وديمقراطي ويساري هو قراره في التصدي للاحتلال الإسرائيلي في عام ١٩٨٢. إذ استخدم السلاح الذي كان يقنتيه في الدفاع عن وطنه ضد الغزاة وظل يقاتل إلى أن نفذت ذخيرته وتمكنت منه القوى الغازية واغتالته. وتحوّل إلى بطل وشهيد من أبطال وشهداء الوطن اللبناني وأبطال وشهداء الديمقراطية والاشتراكية في الدفاع عن الوطن.

تعزّفت إلى الدكتور شكر الله كرم في أواسط سبعينات القرن الماضي في بلدته الخيام خلال زيارتي المتكررة إلى البلدة. وكان من بين الذين رافقوني في اللقاءات معه ابنه صديقي الدكتور كرم. وكان من بين تلك اللقاءات مشاركتي في زفاف كرم في منزل الوالد الدكتور شكر الله. وأشهد من خلال علاقتي بهذا الإنسان الكبير أنني رأيت فيه سمات وصفات الطبيب الإنساني والمواطن الحقيقي والديمقراطي واليساري الحقيقي.

ولا يسعني وأنا أتحدث عن الدكتور شكر الله كرم إلا أن أتذكر اثنين من رفاقه ورفاقي من الشيوعيين القدامى هما مَير مسعد وجورج الزوربا. وهما شيوعيان ينتميان إلى أربعينات وربما ثلاثينات القرن الماضي. وكنت ألتقي بهما في بلدة جديدة مرجعيون أحياناً وفي بيروت أحياناً أخرى.

وكانا عندما تعرفت إليهما قد خرجا من صفوف الحزب لأسباب لم أهتم بمعرفتها. لكنهما كانا في سلوكهما وفي علاقتي معهما يصران على أنهما شيوعيان سواء كانا داخل صفوف الحزب أو خارج صفوفه. وجدير بالذكر، وأنا أتحدث عن هؤلاء الشيوعيين الثلاثة، أنني أقمت خلال حياتي الحزبية الطويلة علاقات ود وصداقة مع عدد غير قليل من الشيوعيين الذين كانوا قد خرجوا أو أخرجوا من الحزب وظلوا متمسكين بشيوعيتهم في السلوك وفي الموقف السياسي والفكري وفي الارتباط التاريخي بالحزب. كم أنا سعيد وأنا أتذكر هؤلاء الرفاق الثلاثة.